(ابغوني الضُّعفاء)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ سيّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خيرُ نبي اجتباه، هدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدِّين كلِّه ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللَّهم صلِّ على سيّدنا محمَّد وعلى أله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد:

عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير:

قال تعالى: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم:38]

وقال تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا * وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ [الإسراء:26-28]

وقال ربنا: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان:20]

عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: (كُنَّا في صَدْرِ النهارِ عِنْدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فجاءه قَوم عُرَاة مُجتابي النِّمار أو العَباءِ –أي: لابِسي أُزُرٍ مُخطَّطة من صُوف–، مُتقَلِّدي السيوفِ، عامَّتُهم من مُضَرَ، بل كلُّهم مِنْ مُضَرَ، فتَمَعَّرَ وَجْهُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لِمَا رأى بهم من الفَاقة، فدخل ثم خَرَجَ، فأمر بلالاً فأذَّن وأقام فصلَّى، ثم خَطَبَ، فقال:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:1]، والآية التي في الحشر: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ [الحشر:18]

تصدَّق رَجُل مِن دِينارِهِ، من دِرْهَمِهِ، من ثوبِهِ، من صاع بُرِّه، من صاع تَمرِهِ، حتى قال: ولو بشِقِّ تمرة، قال: فجاء رَجُل من الأَنصار بصُرَّة، كادت كَفُّه تَعجِزُ عنها، بل قد عَجَزَتْ، قال: ثم تتابع الناسُ، حتى رأيتُ كَوْمَيْنِ من طعام وثياب، حتى رأَيتُ وجهَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم تَهَلَّلَ كأنه مُدْهَنَة، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«مَن سَنَّ في الإسلام سُنَّةً حَسَنَةً فله أجرُها وأجرُ من عَمِلَ بها من بعده، مِن غير أن يَنقُصَ من أجورهم شيءٌ، ومَن سَنَّ في الإسلام سُنَّة سيِّئة كان عليه وِزْرُها وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بها من بَعده، مِن غير أن ينقُصَ من أوزارهم شيء»**.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ»**.

عنوان خطبة اليوم:

(ابغُوني الضُّعفاء)

وهذا العنوان مأخوذ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو داود في سننه بإسناد جيد: **«ابغوني الضُّعفاء، فإنما تُنصَرون وتُرزَقون بضعفائكم»**.

فنحن جميعاً -أيها الإخوة- نرجو الله في هذه الأزمة فرجاً وفوزاً ونجاةً، والحديث يقول: **«فإنما تُنصَرون وتُرزَقون بضعفائكم»**.

جاء في شرح الحديث:

«ابغوني»: بهمزة وصل من الفعل الثلاثي "بغى"، يعني: طلب، أي: اطلبوا لي طلباً حثيثاً، قال تعالى ﴿ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ ﴾ [التوبة:47]، أي: يطلبونها لكم.

وفي رواية بهمزة قطع من الفعل الرباعي "أبغي"، فهو مفتوح الهمزة، أي: أعينوني على الطلب، يُقال: أبغيتك الشيء أي أعنتُك على طلبه.

فالمعنيان متكاملان؛ اطلبوا لي، وأعينوني على طلبهم، حتى نتفقَّد أحوالهم، ونجبر ما استطعنا من كسرهِم، ونسدّ ما قَدِرْنا من عِوَزِهم وحاجتهم، ونلملم المستطاع من جراحاتهم...

ومن هذا الباب كان الصالحون على مرِّ التاريخ يتفقَّدون المساكين والمحاويج وذوي الاحتياجات الخاصة، يقضون حاجاتهم، ويتبرَّكون بدعائهم، ويستمطرون رحمات الله برحمتهم وتقديم يد العون لهم.

عن الأوزاعي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج في سواد اللَّيل، فرآه طلحة رضي الله عنه، فذهب عمر فدخل بيتاً، ثم دخل بيتاً آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت، فإذا بعجوز عمياء مقعَدة، فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه معاهدي منذ كذا وكذا بما يُصلحني ويُخرج عني الأذى! فقال طلحة: ثَكِلَتكَ أمك! أعثراتِ عمر تتَّبع؟

وعن محمد بن إسحاق قال: كان ناس ضعاف من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات علي بن الحسين فقَدوا ما كانوا يؤتَون به بالليل، فعلموا أنها كانت منه.

وقالوا في معنى «**الضعفاء**» في الحديث: مَن يستضعفهم الناس لفقرهم ورثاثتهم.

والمعنى: اطلبوا لي وتقرَّبوا إلي بالتقرُّبِ إليهم، وتفقُّدِ حالهم، وحفظِ حقوقهم، والإحسان إليهم قولاً وفعلاً واستنصاراً بهم.

قال الراغب الأصفهاني: والضَّعف يكون في البدن وفي النفس وفي الحال.

«**فإنما تُرزَقون**»: تُمَكَّنون من الانتفاع بما أخرجنا لكم، «**وتُنصَرون**»: تُعانون على عدوكم ويدفَع عنكم البلاء والأذى.

«**بضعفائكم**»: بسبب كونهم بين أظهركم، أو بسبب رعايتكم ذمامهم أو ببركة دعائهم.

والضعيف إذا رأى عجزه وعدم قوَّته تبرَّأ عن الحَول والقوَّة بإخلاص واستعان بالله فكانت له الغَلَبَة، وكم من فئة قليلة غلَبَت فئة كثيرة بإذن الله.

بخلاف القوي، فإنَّه يظنُّ أنَّه إنما يغلب الرِّجال بقوَّته، فتعجبه نفسه غالباً، وذلك سبب للخذلان كما أخبر الله تعالى عن بعض مَن شَهِدَ وقعة حُنين.

وفي رواية: «**في ضعفائكم**»، وفي أخرى: «**في الضعفاء**» بزيادة "في".

وروى الطبراني وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يستفتح -أي: يطلب الفتح والنصرة على الكفار من الله تعالى- بصعاليك المسلمين -أي: بفقرائهم، وببركة دعائهم-.

أيها الإخوة:

إن ممَّا أفرزَته الأزمة التي نعيش احتياجاتٍ كثيراتٍ لأناس كثيرين، وإنَّ في بَذْلِ كلٍّ منَّا وُسْعَه وطاقته في معونة من يستطيع تخفيفاً لحدَّة الأزمة، وتلطيفاً عن نفسه وعن الآخرين.

وإني لأعلَم أنَّ الكثير منَّا يبذل جهدَه ولا يَأْلُ، لكنها تذكرةٌ للنَّاسي وإعانةٌ للذَّاكر وتثبيتٌ، وهي بشارة لكلِّ مَن واسى ضعيفاً وأخذ بيده بسعة في الأرزاق، وحُسنٍ في العاقبة والخاتمة.

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«بيْنا رجل في فلاة من الأرض، فسَمِعَ صوتاً في سَحَابة: اسْقِ حديقةَ فلان، فتنحَّى ذلك السَّحابُ، فأفرغَ ماءه في حَرَّة، فإذا شَرْجة من تلك الشِّراج قد استوعبتْ ذلك الماء كُلَّه، فتتبَّع الماءَ، فإذا رجل قائم في حديقة يُحَوِّلُ الماء بِمِسْحَاته، فقال له: يا عبدَ الله، ما اسْمُك؟ قال: فلان -للاسم الذي سمع في السحابة- فقال له: يا عبد الله، لِمَ سألتني عن اسمي؟ قال: إني سمعتُ صوتاً في السَّحاب الَّذي هذا ماؤهُ يقول: اسقِ حديقة فلان -لاسمِك-، فما تصنعُ فيها؟ قال: أمَّا إذ قُلْتَ هذا فإني أنظرُ إلى ما يَخرج منها، فأتصدَّق بثلثه، وآكلُ أنا وعيالي ثُلُثاً، وأرَدُّ فيها ثُلُثَهُ»**.

وفي رواية: **«وأجعَل ثُلُثَه في المساكين والسائلين وابن السبيل»** [أخرجه مسلم].

وروى البيهقي في "الشُّعب" عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إذا كان يوم القيامة جمَعَ الله أهلَ الجنَّة صفوفاً، فإذا أهلُ النار صفوفاً، فينظر الرجل مِن صفوف أهل النَّار إلى الرجل من صفوف أهل الجنَّة فيقول له: يا فلان، أما تذكر يوم اصطنعتُ إليك في الدنيا معروفاً؟ قال: فيقول اللهم إنَّ هذا اصطنع لي في الدنيا معروفاً قال: فيقال له: خذ بيده فأدخله الجنة برحمة الله»**.

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتابه "قضاء الحوائج" عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدِّه رفعَه: **«ما من مؤمن أدخل على مؤمنٍ سروراً إلاَّ خلق الله من ذلك السُّرور ملَكاً يعبد الله ويمجِّده ويوحِّده، فإذا صار المؤمن في لحده أتاه السُّرور الذي أَدخَلَه عليه، فيقول له: أما تعرفني؟ فيقول: مَن أنت؟ فيقول: أنا السرور الذي أدخلتني على فلان، أنا اليوم أؤنس وحشتك**

وألقِّنك حجَّتك وأثبِّتك بالقول الثَّابت، وأشهَد بك مشهد القيامة، وأشفَع لك من ربك، وأريك منزلك من الجنة».

والحَمدُ للهِ رَبِ العَالمين